بحث في موضوع

دور المرأة البدوية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية
رؤية من واقع المملكة العربية السعودية (*)

بحث في موضوع

دور المرأة البدوية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية
رؤية من واقع المملكة العربية السعودية (*)

مقدمـــة :

يعتبـــر موضوع المرأة من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام الباحثـــين والدارسين والمهتمين بشئون المجتمع وقضايا التنمية فيه ، ولا يرجع هذا الاهـــتمام إلى أهمية المرأة في حد ذاتها وحسب ، ولكن يرجع أيضاً إلى أن المرأة تمـــثل ركـــناً هامـــاً من أركان الأسرة ، كما تعتبر اللبنة الأولى في كيان المجتمع ويعول عليها الشيء الكثير .

فلقـــد طرح التغير السريع الذي تمر به مجتمعات ا لدول النامية عدداً مـــن القضايا والمشاكل والتي تختلف عن تلك التي مرت بها مجتمعات سبقتها في طـــريق التنمية والتقدم العلمي وانعكس هذا في الاهتمامات المتنوعة والجديدة التي تظهـــر على مسرح البحث والنظرية في علم الاجتماع ، هذا في الوقت الذي ظهر فيه بوضوح أن إعادة بناء هذه المجتمعات وتواصلها مع التيارات العصرية يتطلب بـــأن ينبثق التغير الاجتماعي فيها من موقف اجتماعي محدد يعيد صياغة العلاقات والقـــيم ، والنظـــرة إلـــى الحياة ، ومواجهة موضوعية لكل المعوقات والرواسب والمشاكل التي تقف في وجه التنمية . (جاب الله ٢٠٠٤) .

وإذا كانـــت التنمـــية فـــي أبسط معانيها تعني إحداث تغير اجتماعي وإقتصادي وثقافي مخطط ومقصود لرفع مستوى المعيشة ، وذلك عن طريق تعبئة

(*) الدكـــتور / سعيـــد ناصر حمـــدان – مركز البحوث والدراسات الاجتماعية – جامعة الملك خالـــــد – المملكة العربية السعودية

كافـــة الجهـــود البشرية لتحقيق الأهداف المرجوة بأعلى كفاءة ممكنة ، وبأقل هدر للإمكانـــيات وفـــي أقصر وقت ، فإن هذا يستلزم بالضرورة تغيير النظرة التقليدية نحـــو المرأة ، وإتاحة الفرصة لها للمشاركة الفاعلة في جهود التنمية فالمرأة تمثل نصـــف المجـــتمع ونصـــف طاقاته الإنتاجية ، ومن هنا كان تمكينها من المشاركة ضـــرورة تنموية وإجتماعية ، وهدفاً منشوداً يجدر العمل على تحقيقه في إطار من العدالـــة والمســـاواة والقـــيم الإسلامية . ولقد أدركت المرأة البدوية أهمية دورها التـــنموي فساهمت مساهمة إيجابية في العمل والإنتاج المعاشي ،ولعبت دوراً بارزاً في التنشئة الاجتماعية والأسرية للأبناء ، وتنمية مجتمعها المحلي لمواجهة تحديات التقدم والتطور والنمو ، ومن ثم فإن الإيمان بضرورة تمكين المرأة من الإسهام في حـــياة مجتمعها قد إستقر كضرورة من ضرورات التنمية ، لدرجة أن تولدت لدى الجمـــيع شبه قناعة بأن للمرأة دوراً إجتماعياً وإنسانياً وتربوياً واقتصادياً عليها أن تؤديه ، وعلينا أن نخطط له .

لهـــذه التصـــورات وغيرها تم التركيز على موضوع " دور المرأة الـــبدوية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية " كموضوع جديراً بالبحث والدراسة ، فتشـــخيص الأدوار الاجتماعية والاقتصادية للمرأة البدوية ، ومعرفة أهم إسهاماتها التنموية يعتبر محاولة لتفنيد بعض المقولات الخاطئة التي شاعت في أدبيات التنمية والتي تشير إلى أن المرأة البدوية لم تشارك في التنمية بإعتبار أن معيار المشاركة لـــدى كثيـــر من الباحثين إقتصر على مفهوم العمل بالوظائف العامة والذي ترتفع معدلاته في المجتمعات الحضرية عن المجتمعات البدوية .

كما تأتي هذه الدراسة أيضاً من حقيقة أنها تهدف إلى أن تغطي نقصاً واضـــحاً فـــي الآدبيات السوسيولوجية في دراسة أدوار المرأة البدوية وإسهاماتها التـــنموية فـــي المملكة العربية السعودية ، والتي لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين في العلوم الاجتماعية .

وتركز هذه الدراسة على الجوانب التالية :

١- المفاهيم الأساسية . ٢- تنمية البادية في المجتمع السعودي .
٣- الأنشطة الاقتصادية للأسرة البدوية والتغيرات التي طرأت عليها .
٤- المداخل النظرية في دراسة المرأة والتنمية .
٥- الدور التنموي للمرأة البدوية .
٦- توصيات الدراسة .

المفاهيم الأساسية للدراسة :

١- مفهـوم البـداوة :

الـبداوة وإن كانت تبدو اليوم نمطاً خاصاً ومختلفاً من أنماط الحياة الاجتماعية إلا أنها كانت تمثل منذ القدم حضارة ما قبل التاريخ ، صحيح أنها كانت تختـلف في معظم صورها عما هو سائد اليوم ، إلا أن المؤرخين قد أجمعوا على أن الإنسـانية نشـأت بين أحضان البداوة ، حيث كانت بداوة ما قبل التاريخ ترتكز على عدم الاستقرار والتنقل سعياً وراء مصدر أوفر للعيش .

ولقـد إتسـمت بـداوة ما قبل التاريخ بأنماط مختلفة ما زالت حلقاتها متصلة حتى اليوم ، فالبداوة العربية عرفت الصيد وجمع الثمار والرعي والزراعة المتـنقلة وما زال الرعي يشكل جانباً أساسياً ومهماً من ملامح البداوة في عصرنا مـع مـا يتطلـبه الرعي من حركة وتنقل تحدده طبيعة الحيوان الذي ترتكز عليه الجماعات البدوية (الفوال ١٩٦٧) .

والـبدو بصـفة عامة قوم رحل يسكنون بيوتاً من الشعر المصنع التي يسهل حملها على ظهور الجمال والتنقل بها في حدودهم الإقليمية بحثاً عن الأمطار والمـناطق الغنـية بالأعشـاب وينابيع المياه ، ولهذا فلم يكن هؤلاء يهاجرون إلى مـنطقة بعـيدة وكانت هجرتهم لا تقع إلا في فصل الصيف لمسافات لا تزيد عن عشرة إلى أربعة كيلو مترات داخل الأرض المخصصة لكل وحدة .

وتسم البداوة كما يذكر صلاح الفوال (١٩٦٧) بالسمات والخصائص التالية :

١- أنهـــا نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحـــية ، وعلـــى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية ، وعلـــى مـــدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة .

٢- أنها مرحلة متميزة من مراحل النمو الحضاري للمجتمعات البشرية ، هذا النمو الحضاري الذي يتناول بالتغيير جانبين أساسين هما :
الجانـــب المـــادي ويشمل ما يستخدمه الإنسان من أدوات ، وأجهزة وغيرهما من عناصـــر البيـــئة الطبيعية التي تحيط به ، والجانب غير المادي ، ويتناول العادات والقيم وغيرها من الأساليب التي تنظم سير الحياة الاجتماعية بأنظمتها المختلفة .
بينما يرى العالم العربي " عبد الرحمن بن خلدون " أن البدو "هم المقتصرون على الضـــروري فـــي أحوالهم والعاجزون عما فوقه ، أما الحضر فهم المعتنون بحياة الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم " .

ويـــؤكد ابـــن خلـــدون أن " الضروري أقدم من الحاجي والكمالي ، وســـابق عليه لأن الضروري أصلي ، والكمالي فرعي ناشيء عنه " ثم يصل ابن خلـــدون إلـــى نتيجة هامة هي " أن البدو أصل المدن والحضر وسابق عليهما لأنه أول مطالـــب الضـــروري ، ولا ينتهي إلى الكمالي والترف إلا إذا كان الضروري حاصلاً " (ابن خلدون ١٩٧١) .

ويـــرى كوســـتللو (١٩٧٧) أن البداوة تمثل استجابة بيئية أكثر من كـــونها نمطـــاً للحـــياة تخـــتلف عـــن أنماط الحياة المستقرة ، وتعد العائلة الوحدة الاقتصادية الأساسية في المجتمع بما فيها من إكتفاء ذاتي ، كما تعتبر القبيلة الوحدة التـــي تعلـــو مجموعة العائلات ، وتتميز العلاقات الأسرية داخل القبيلة من حيث

القــرابة بقوتها وكثافتها ، وتحرص دائماً على الإبقاء على هذه الكثافة عن طريق نظــام الــزواج الداخلي . وهناك بعض التعريفات التي قصرت مفهوم البداوة على الصحراء فقط كالتعريف الذي أورده أحمد زكي بدوي (١٩٧٧) والذي أوضح من خلالــه أن مفهــوم البداوة يعني فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوك خــاص ترســمه البيــئة الصــحراوية المحيطة بهم ولا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة.

بينما يرى الدكتور محمد عاطف غيث (١٩٨١) أن مصطلح [بدوي ــ بداوة] يشير في استخدامه المألوف إلى " الأشخاص الذين يعيشون حياة المجتمعات ويتجولون باستمرار بحثاً عن العشب والكلأ " .

وأخيــراً يمكــن القول أن البداوة هي أول نمط اجتماعي للحياة عاشه الإنســان حــيث تعتبــر البداوة بداية سعيه الحقيقي من أجل التكيف مع الظروف الصــعبة والقاهــرة التي أحاطت به ، وارتكز هذا التكيف على قيم وعادات جعلت الــبدوي يحــافظ فــي النهاية على حياته وحياة حيواناته في إطار من العزلة شبه التامة.

٢- مفهــوم التنميــة :

إن الاهتمام بقضية التنمية قديم جديد ، فهو قديم من وجهة نظر علماء الاقتصاد الذين سبقوا غيرهم في دراسة هذه القضية ، واجتهدوا في تقديم تفسيرات لعــواملها ومشكلاتها وتحدياتها ، ولكن هذا الاهتمام قد اصطبغ خاصة في مراحله الأولــى بالتركيــز على الجوانب الاقتصادية وحدها ، وقد ترتب على ذلك إهمال الجــوانب الاجتماعــية في عمليات التنمية. وإغفال أثرها وساء اعتقاد بأن العوامل الاقتصــادية هــي المتغيــر المستقل والمدخل الوحيد لإحداث التنمية، وأن العوامل الاجتماعية تمثل متغيرات لاحقة لهذا المتغير المستقل .

غير أن الجديد في مجال الاهتمام بقضية التنمية يتمثل في أن الدعاوى

السابقة تنطوي على مزيد من السطحية في فهم التخلف والتطوير ، إن أحداً لا ينكر أهمـية التنمية الاقتصادية وخطورتها ومحوريتها ، ولكن قصورها كاستراتيجية " منعـزلة " هـو الذي أدى إلى إغفال التنمية الاجتماعية وأهميتها في نجاح وتدعيم النمو الإقتصادي (والي ١٩٨١) . ولاشك أن الاهتمام بالتنمية لم يعد قضية تشغل رجـال الاقتصـاد أو الصناعة أو الإدارة ، أو مخططي السياسات العامة ، أو قادة المجـتمعات علـى إختلاف منطلقاتهم الأيديولوجية ، بل أصبح يمثل ميداناً يتعاظم شـأنه في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى ، ولهذا أصبح مألوفاً الآن أن يـؤكد علمـاء الاجتماع أن التنمية الاجتماعية والاقتصادية قضية كبرى من قضايا هـذا العصـر ، فرضـتها ظروف التقدم العلمي والتكنولوجي ، وأوجبتها مسئولية القـيادات المختلفة في المجتمع عن وضع الإنسان في وضع ملائم من حركة التقدم الحضـاري العالمي وأكدها ما هو مطروح تاريخياً من مشاكل التخلف وصعوبات النمو وما يظهر بالضرورة من مشاكل التنمية ذاتها .

ومما لا شك فيه أن موضوع التنمية يمثل مكان الصدارة والاهتمام في العلـوم الاجتماعية . وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمجتمعات النامية والتي أصـبحت تعـتمد علـى التنمية كأساس لدفع مجتمعاتها نحو الأخذ بأساليب التقدم والترشـيد . ويـرجع الاختلاف حول تعريف التنمية ، كما تعزى صعوبة التوصل إلـى تعـريف محـدد أو ملائـم لهذا المفهوم إلى مجموعة من العوامل والأسباب الموضـوعية ، والتاريخية ، والمنهجية والمعرفية ، والأيديولوجية التي أثرت على جهـود الباحثـين فـي هذا المجال . وانعكست بشكل أو بآخر على ما قدموه من اجتهادات في هذا الصدد . (جاب الله ٢٠٠٤) .

ومـن المسـلم بـه عالمياً . أن التنمية هي التحريك العلمي المخطط لمجمـوعة مـن العمليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خلال أيديولوجية معيـنة لتحقـيق التغير المستهدف من أجل الانتقال من حال غير مرغوب فيه إلى حـال أفضـل يراد الوصول إليه . وهذا يعني أن التنمية تستهدف تغيراً أساسياً في

البـــناء الاجتماعي فيما يتضمنه من تنظيمات مختلفة الأهداف ، وتعديلاً في الأدوار والمراكـــز وتحـــريك الإمكانات الاقتصادية ، بمعنى تحديدها وموازنتها إلى جانب العمـــل علـــى تغييـــر المـــوجهات الفكـــرية والقيمية ، تلك التي تعيق التجديدات والاهتمامات الجديدة.

ويتـــرتب علـــى ذلـــك أن الفهـــم العلمي للتنمية يفرض على عالم الاجتماع ، أن يهتم بفروع أخرى ، قد يتصور البعض عدم وجود صلة بينها وبين التنمـــية مثل التاريخ والتنظيم الاجتماعي ، والتدرج الطبقي ، والأدوار ، والمراكز وضـــوابط الســـلوك والموجهات القيمية والدوافع إلى الإنجاز وغير ذلك . ويمكن النظـــر إلى التنمية كهدف وأسلوب وعملية ، فهي كهدف تحاول الوصول بالإنسان إلـــى محاولة الاستمتاع بالرفاهية والإحساس بالكرامة وزيادة فعاليته في أداء دوره الوظيفي من خلال مؤسسات وهيئات المجتمع في حدود قيم معينة تسير عليها حياة الـــناس فـــي المجتمع . وهي كأسلوب تحاول بطريقة معينة تنمية الطاقات البشرية وحسن إستثمارها وزيادة فعالية المشاركة الشعبية مع الجهود التي تبذلها الدولة عن طريق مجموعة من المشروعات الخدمية وتقدمها لأفراد المجتمع لتكون ملاذاً ونفعاً لأبـــناء المجـــتمع جمـــيعاً . وهي كعملية من حيث أنها حق لكل الناس جميعاً دون تفـــرقة ، وعامـــل لتحقـــيق العدالة الاجتماعية ، فالكل يساهم في عمليات التنمية ، والكل يشارك في جني ثمارها (الجوهري ١٩٨٤) .

ومـــن هـــنا ظهرت الآراء والأفكار التي تنادي بضرورة العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وإعادة توزيع الدخل القومي في الدول النامية ، بما يخفف مـــن حـــدة التفاوت الشائع في توزيعه ، والقضاء على الفقر بمختلف أشكاله ، وأن يتضـــمن إســـتراتيجيات التنمـــية وخططها وسياساتها الوفاء بالاحتياجات الأساسية للسكان من تعليم وخدمات صحية وإسكان وفرص عمل وغذاء وملبس وثقافة وغير ذلك . (جاب الله ٢٠٠٤)

تنمية البادية في المجتمع السعودي :

إن البداوة العربية في إطارها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي كقضية من قضايا التنمية موضوع حيوي يفرض نفسه على المستوى الاقليمي للمجتمع العربي ، فلقد إجتذبت البداوة جانباً كبيراً من التفكير الاجتماعي ، وبخاصة تحت تأثير النزعة التطورية التي رأت في الحياة البدوية بواكير الحضارة الإنسانية وبداية مراحل تطورها وتقدمها . وقد تضاربت الأحكام القيمية حول البداوة والبدو بين من يرى أن النمط المجتمعي البدوي يعتبر تخلفاً ينبغي تكريس كل الجهد للقضاء عليه ، إلى جانب من يرى في تنمية المجتمعات البدوية إبقاء على الكثير من القيم الفاضلة ومحافظة على أنماط العلاقات الاجتماعية التي تنطوي على كثير من مبادئ التعاون والتكامل والمروءة والشجاعة والصدق والتفاني في العمل التي تفتقر إليها العلاقات في المجتمع الصناعي الحديث . (محجوب ١٩٧٧) . ونظراً لأن البادية تشكل نسبة لا بأس بها من تعداد السكان بالمملكة العربية السعودية حيث كانت حسب تعداد السكان لعام ١٤١٣هـ ١١% (مصلحة الإحصاءات العامة ١٩٩٣) كان ولابد من العمل على إندماج هذا القطاع الحيوي الهام في المجتمع القومي الكبير حتى يتمكن من المساهمة في الحياة القومية العامة مساهمة فعالة منتجة ، على قدر إعداده ، وطاقاته الخاصة بصورة أكثر فعالية في تدعيم الاقتصاد القومي والعمل على توفير الإنتاج بما يكفل رفع مستوى الدخل القومي للمملكة .

ولقد وجهت الدولة بالغ عنايتها والكثير من اهتمامها إلى هذا القطاع الكبير من الأمة ، آخذة بمبدأ المساواة بين سائر أصناف المواطنين المشتركين في الوطن الواحد على إختلاف طبقاتهم ، والملزمين بنفس الواجبات ، المدركين للمسئوليات ، والمستحقين لنفس الحقوق . وتقوم نظرة الدولة إلى مشكلة البادية والبداوة والبدو على مجموعة من الأسس والتي أشار عبد الله الخريجي (١٩٨٠) إلى بعض منها كما يلي :

١- أن البداوة ظاهرة اجتماعية ، وليست مجرد مشكلة سطحية تعالج بسذاجة وهي موضوع حيوي يتصل إتصالاً مباشراً وعميقاً بصميم التكوين الوطني للمملكة ، كما يتصل بصميم تكوين المجتمعات العربية عموماً ، لأنه ما من بلد عربي إلا والبداوة مظهر من مظاهر حياته الاجتماعية بنسب متفاوتة .

ولهـذا لا يجـوز الاتجـاه كلية إلى الأخذ بالنظرية القائلة أن معالجة مشـكلة البداوة تكون بتوطن البدو أو نقلهم إلى مجتمعات كبرى تمتصهم لتصفيتهم وإنما تكون بمعالجة ظاهرة البداوة على أساس دمج المجتمعات البدوية في المجتمع الوطنـي للدولـة ، وإشراك هذه المجتمعات في نشاط المجتمع العام وتمكينها من الإسهام في برامج التنمية بمظهريها الاقتصادي والاجتماعي .

٢- إن مشـروعات وبـرامج إنعـاش البادية ، لابد بالضرورة أن تكون متشعبة الجوانب بالشكل الذي يستدعي أن تلقي الاهتمام الكافي من أجهزة الدولة الفنية. وتوطـين الـبدو عملـية متكاملة تتضمن إحداث تغيير في الظروف الطبيعية والحضارية القائمة ، بهدف تنمية الموارد البشرية والاقتصادية ورفع المستوى الاجتماعـي وتحقـيق التكامل القومي ، عن طريق إدماج المجموعات البدوية ذات الحضارة الرعوية التقليدية بصورة جماعية في الوحدة السياسية والقانونية والاقتصادية والفكرية للمجتمع القومي . (صابر ومليكه ١٩٨٦) .

ولاشـك أن للمجتمع العربي السعودي خبرات قديمة في ميدان توطين الـبدو ذلك أن مؤسس الدولة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ كان أول من فكر فـي توطين البدو على مقياس واسع فأنشأ " الهجر " العديدة في قلب البادية وجعل البدو يتركون ما استطاعوا حياة الإرتحال ، ليأخذوا بحياة الإستقرار ووفر في هذه " الهجـر " مـا يعين أهلها في الحصول على رزق مأمون ، بالإضافة إلى توفير فـرص الصحة والتعليم والزراعة والأمن وفرص التقدم (الخريجي ١٩٨٠) . كما قـام الملـك عـبد العزيز ـ يرحمه الله ـ أيضاً بتنفيذ برنامج اجتماعي إقتصادي لأبـناء الـبادية تمـثلت جوانبه كما ذكرتها موضي بنت منصور بن عبد العزيز (١٩٩٩) في الآتي :

أ- توطـــين البدو الرحل وتعليمهم الزراعة ، والعيش في بيوت مبنية ، تشكل كل مجمـــوعة مـــنها قرية صغيرة زراعية ، بدل متابعة كسب العيش عن طريق رعـــي الأبـــل والأغـــنام ، وما يتطلبه الرعي من رحيل متواصل وحياة غير مستقرة .

ب- تهذيب العقول والنفوس وإشاعة المعرفة ليكتسب البدوي الذي يطبق عليه هذا البرنامج ، مثلاً عادات وطبائع وأخلاق جديدة تغاير ما اعتاد عليه.

جـ- التبصر بالدين ، وممارسة فروضه وسننه وتعاليمه تبصراً يقوي روح الإيمان ويـــردع الفرد والجماعة عن إقتراف كل ما هو غير أخلاقي ، لأن روح الدين الإسلامي هي روح الأخلاق الحميدة .

٣- وتوجد بين كل من التنمية والتوطين صلات قوية ، حيث يعتبر التوطين ركيزة أساســية لكـــل البـــرامج والعمليات التنموية في المجتمعات البدوية لأنه بدون اســـتقرار وإقامة البدو أو توطنهم في مجال مكاني محدد ، لا يمكن لأي خطط أو بـــرامج تنموية بشقيها الاقتصادي والاجتماعي ، أن تحدث التغيير المطلوب فـــي ســـلوكيات البدو أو في نمط الحياة البدوية ، سواء في الجانب البشري أم الجانب المادي من ذلك النمط (الفوال ٢٠٠٣) .

ولقد كان من يمن الطالع في عهد الملك عبد العزيز ـــ يرحمه الله ـــ أن ينابيع البترول قد تفجرت بغزارة عام ١٣٥٧هـــ في الإحساء والمنطقة الشرقية وأمـــدت الـــبلاد بمـــوارد ضخمة من الثروة النقدية التي ساعدت البلاد على القيام بمشـــروعات كثيرة لتنمية البلاد في جميع المجالات ومنها التنمية الاجتماعية ، فقام الملك عبد العزيز بمشروعات زراعية حديثة في الخرج والقطيف والطائف ووادي فاطمـــة ، وأنشئت عشرات القنوات والمجاري المائية عبر الصحراء وبنيت السدود وحفـــرت شـــبكة مـــن الآبـــار الارتوازية للاستفادة منها في الزراعة والاستقرار (الزهير ١٩٨٨) .

وأخيـــراً يمكن القول أن عملية التوطين ليست بالعملية السهلة ، وإنما هي تحتاج إلى جهد مزدوج ، فهي تحتاج إلى جهد إقناعي للسكان البدو أنفسهم في ضرورة تقبل أوضاع جديدة تحمل لهم إنعاشاً إجتماعياً وإقتصادياً وتوفر لهم الأمن والأمـــان على أوضاعهم في إطار المجتمع القومي الشامل ، ثم جهد الإعداد لعملية التوطـــين نفسها بما يتطلب من إمكانيات مادية وبشرية ومعنوية حتى تكتمل العملية بنجاح .

الأنشطة الاقتصادية للأسرة البدوية والتغيرات التي طرأت عليها :

لقد كان الاقتصاد البدوي اقتصاداً معاشياً في الدرجة الأولى ، بمعنى أن كـــل الجهد البشري للإنسان البدوي موجه لإشباع الحاجات المعاشية الضرورية والمباشرة في استثمار الموارد المحدودة أو الموارد الوحيدة للثروة ، كما هو الحال مـــثلاً في الإشتغال بالقنص والصيد والرعي ، وفي مثل هذا النمط الاقتصادي يقوم نســـق تقســـيم العمـــل على الأسس الذاتية مثل العمر. وللذكور أعمال تختلف عن أعمـــال الإناث (محجوب ٢٠٠٥) وقد إرتبطت الجماعات البدوية بأنشطة إقتصادية محـــددة ، فهـــناك جماعـــات تمارس الصيد وأخرى تمارس الرعي أو الزراعة أو الـــتجارة ، وفي بعض الأحيان لا تقتصر الجماعة على ممارسة نشاطاً واحداً ، بل تمارس أكثر من نشاط .

ويعتبـــر الرعي من أهم معالم البداوة وأنشطتها الاقتصادية ، فالرعي مـــرتبط دائماً بالبداوة وبالترحال من مكان إلى آخر . ويرعى البدو أنواعاً متعددة مـــن الحـــيوانات مثل الأغنام والأبقار والجمال ، وتخدم الثروة الحيوانية البدو في أغراض متعددة فهي توفر المادة الخام للصناعات اليدوية . ولم يكن البدوي يستقر فـــي موضـــع واحد أكثر من شهر أو شهرين ، ولا يستطيع أن يقطن في الأماكن الآهلة ، مما يجعل علاقاته مع الغير محدودة وذات نطاق ضيق جداً لا يتعدى أفراد عشـــيرته وأهلـــه ، أما اليوم فالمسكن ثابت ومصدر الزرق ثابت أيضاً ، ولابد من علاقـــات تربطه بالأفراد المحيطين به ، بحكم طبيعة العمل ، وكذلك الأفراد الذين

يتعامل معهم لشراء وبيع متطلباته ومنتجاته ، وهنا يأخذ البدوي من عادات وطباع الغيـــر ، مما يجد أنه يتلاءم مع نفسيته وبيئته التي أخذت هي بدورها في التغير ، ويمكن أن نلمس ذلك في مسكنه وما به من أدوات ، ومن التغير الواضح في سبيل معيشته (عبد الباري ١٩٨٢) .

ولقـــد خلصـــت نـــتائج دراسة ميدانية قامت بها " نجوى سعد الله (١٩٩٥) " حـــول أنمـــاط البداوة في محاولة لتصنيف بدو محافظة الفيوم بالمجتمع المصـــري إلـــى أن هـــناك تغيراً في طبيعة النشاط الاقتصادي بالمجتمع البدوي بمعنـــى أنـــه لم يعد قاصراً على نشاط رعي الحيوانات والتجارة ، بل يميل الجيل الجديـــد إلى البحث عن عمل جديد يتميز بالدخل المرتفع والعائد السريع ويفسر أحد إخباريـــي المجتمع هذا التغيير بقوله " إن حرفة الرعي في الوقت الراهن لا تحقق عائـــداً مـــرتفعاً ولا سريعاً ، ولا يمكن للأسرة ذات الحجم العددي الكبير أن تعتمد عليها لسد متطلباتها واحتياجاتها الأساسية " .

ولقـــد كشـــفت الدراســـة الميدانية السابقة ، إعتماد مجتمع " بدو الكـــيمان " علـــى عمالـــة الأطفال والنساء للمشاركة في أداء النشاط الاقتصادي ، ويكـــون ذلـــك أما بإبقاء الطفل في الخيمة لحراسة الحيوانات التي لا تخرج للرعي أو خـــروج الطفل الذكر مع الإناث للرعي لقضاء طلباتهم بأن يمتطي ظهر الحمار ويسير بجوار القطيع إلى أن يصل إلى الحقل (مكان الرعي) ، ثم يذهب لإحضار الطلبات اللازمة لأسرته من السكر والشاي والأطعمة والماء . كما كشفت الدراسة أيضـــاً عـــن قيام المرأة البدوية بغزل الصوف الذي يعتبر من الأنشطة الاقتصادية ذات العائـــد بالنسبة للأسرة فمن خلاله تقوم الأناث بتوفير ما يلزم أسرتها من خيام وأحمال لازمة للأسرة وأعضائها ، ثم بعد ذلك يتم بيع ما يفيض عن حاجة الأسرة فـــي الســـوق الأسبوعي للمجتمع بما يعود عليهم في المساهمة في الدخل الأسري (سعد الله ١٩٩٥) .

ولقد اهتمت الدراسات السعودية المتخصصة في علم الاجتماع بالمجتمعات البدوية ، وحاولت كشف أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية على نشاطهم الاقتصادي وسلوكهم الاجتماعي ، وخاصة عملية توطين البدو وتحضرهم فمثلاً كشفت دراسة إجتماعية لأحد المجتمعات البدوية في المجتمع السعودي بعد أن إستقروا وتوطنوا " في هجر الغطغط " أن النشاط الرئيسي لسكان الهجرة تبدل عند الرجال من الرعي إلى ممارسة المهن والوظائف المختلفة كالأعمال العسكرية والتجارية ، وتحولت الملكية من الملكية الجماعية للأرض إلى الملكية الفردية ، ومن ملكية الحيوان إلى ملكية الأرض والعقار وتغير شكل السلطة في الهجرة من نظام المشيخة الوراثي ، إلى نظام الإمارة بالتعيين وقد واكب هذه التغيرات الجذرية في الجوانب الاقتصادية والسياسية المتغيرات في النسق القرابي ، فلم يعد أهالي الهجرة ينتمون إلى عشيرة واحدة فقط ، بل إلى عدة عشائر متباينة ، ولم يعد أبناء العشيرة الواحدة يمثلون وحدة سكنية مشتركة ، بل أصبحوا عبارة عن أسر مبعثرة في الأحياء السكنية للهجرة ، مما يجعل التضامن بين أبناء العشيرة الواحدة لا يعتمد على الترابط القرابي فحسب بل على وحدة الجوار أيضاً ، وقد تأثرت العائلة بالتغيرات الاقتصادية والبيئية ، فلم تعد الأسرة الممتدة فقط هي السائدة في الهجرة ، بل ظهر الكثير من الأسر النووية ، وقد تأثرت العادات المصاحبة لدورة حياة الفرد كثيراً بهذه المتغيرات، خاصة في الجوانب المادية كالمسكن، ووسائل النقل والأدوات المنزلية ، وهي أسرع تغيراً من الجوانب الثقافية كالقيم والعادات والمعايير البدوية (الخطيب ١٩٨١) .

المداخل النظرية في دراسة المرأة والتنمية :

حظي موضوع دراسة أدوار المرأة باهتمام كبير من جانب علماء الدراسات الإنسانية بصفة عامة ، وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا بصفة خاصة مما يعكس حيوية هذا الموضوع ، وإتساع نطاقه ، لهذا فإن المداخل النظرية له قد عكست رؤية متميزة لتلك الدراسات يمكن بلورتها من خلال المداخل التالية :

أولاً : المدخل الوظيفي Functional Approach :

يستند هذا الاتجاه إلى فكرة الكل الذي يتألف من مجموعة الأجزاء ويقوم كل جزء منها بأداء دوره أو وظيفته وهو معتمد في هذا الأداء على غيره من الأجزاء ، ومن ثم يقوم التساند الوظيفي بين الأجزاء وبعضها أو بين الأجزاء والنسق ككل . ويؤكد هذا المدخل على ضرورة تقسيم العمل بين الجنسين بحيث تقوم المرأة بعملية الإنجاب ورعاية الأسرة والأبناء ، أي أن دورها لا يتعدى كونها زوجة وأماً وربة بيت ويقوم الرجل بالعمل والإنتاج والمشاركة في كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالمجتمع ، ويرى أصحاب هذا الاتجاه الذي دعم أساسه عالم الاجتماع الأمريكي " تالكوت بارسونز " أن التقسيم بهذا الشكل هو عملية طبيعية ووظيفية في آن واحد . فهي طبيعية بمعنى أن هناك خصائص بيولوجية لكل من الذكر والأنثى ، وهي التي حددت الدور الاجتماعي الذي يجب أن يلعبه كل منهما في المجتمع . ويقصد بالوظيفية أن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة على هذا النحو شأنه أن يدعم نظام الأسرة في المجتمع ويحقق قدراً من التوازن داخل البناء الاجتماعي ككل ــ ذلك البناء الذي يمثل نظام الأسرة أحد الأنساق الرئيسة فيه . ولكن تقسيم العمل بين الرجل والمرأة على النحو السابق لا يقف في نظر هذا الاتجاه عند تحديد وتوزيع الأدوار بين الجنسين ، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك حيث أنه يرى أن لكل دور محدد قيمة محددة ، وتعكس لنا هذه القيمة وضع ومكانة صاحبه في المجتمع (عفيفي ١٩٩٦) . وبناء على ذلك فلا يجد مؤيدو هذا الاتجاه أية غضاضة في أن تظل المرأة في وضع ومكانة أقل من تلك المكانة التي يمتلكها الرجل في المجتمع ، بل وتظل تابعاً ضعيفاً ومقهوراً يحتاج دوماً إلى حماية الرجل وسيطرته سواء كان هذا الرجل أباً أو أخاً أو زوجاً .

ثانياً : المدخل الثقافي Cultural Approach :

يفسر هذا المدخل مكانة المرأة وما تقوم به المرأة من أدوار متعددة في المجتمع من خلال ثقافة المجتمع وما تضفيه من قيمة اقتصادية واجتماعية على

الأدوار التي تقوم بها المرأة . وتختلف القيمة التي تسبغها الثقافة على الأدوار التي يقوم بها الفرد بإختلاف هذه الثقافة من مجتمع لآخر ، وقد ذهب " ليفي ستراوس " إلى وجود بعض أوجه الشبه بين معظم ا لثقافات حول وضع المرأة ، إذ تخلع ثقافات المجتمعات بصفة عامة أهمية كبيرة على الأدوار التي يقوم بها الرجل ، بينما تعطي وزناً هامشياً للأدوار التي تقوم بها المرأة حتى لو كان العائد الاقتصادي لأدوارها مرتفعاً (عفيفي ١٩٩٦) . ويؤكد هذا المدخل على أن الفصل بين الدور والوظيفة على أساس النوع (Sex) في تقسيم العمل في كثير من الثقافات ، وخاصة في الدول النامية أمر مسلم به وأن أي محاولة لتغيير ذلك ينظر إليه بوصفه تهديداً لكيان المجتمع (عفيفي ١٩٩٦) .

ثالثاً : مدخل التنمية المستدامة Sustainable Development Approach :

على الرغم من أهمية هذه الاتجاهات في إلقاء مزيد من الضوء في تفسير الدور التنموي للمرأة ، إلا أن هناك اتجاهاً معاصراً بدأ التركيز عليه والأخذ به وهو " اتجاه التنمية البشرية المستدامة . " فلقد قدم هذا الاتجاه مفهوماً جديداً للتنمية البشرية المستدامة ، بإعتبارها العملية التي يتم من خلالها توسيع نطاق الخيارات المتاحة أمام الناس ، وزيادة قدرتهم من خلال رأس المال الاجتماعي اللازم لتلبية احتياجات الأجيال الحالية بصورة عادلة دون أن يكون ذلك على حساب إحتياجات الأجيال المقبلة (Chichilmisky ١٩٩٧). الأمر الذي يتطلب وجود إلتزام أخلاقي بأن نفعل من أجل الأجيال القادمة ما فعلته الأجيال السابقة من أجلنا على الأقل ، ويسعى هذا الاتجاه إلى التخفيف بأسرع ما يمكن من حدة الفقر الشديد ، وذلك عن طريق تقديم مساعدة مباشرة ومكثفة لمن هم في حالات ميئوس منها أو ملحة (Piazza ١٩٩٨). فالفقر والنمو السكاني والتدهور البيئي من أهم التهديدات التي تشكل خطراً على وجودنا ومنهج حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولما كان التعريف الجديد للأمن القومي يركز على التنمية البشرية المستدامة ، والتي تراعي ضرورات العدالة والإنصاف ، فإنه سيؤدي إلى عالم أكثر أمناً ورخاءاً ، وعدالة لجميع سكانه .

ولاشـــك أن إســـتراتيجية التنمية المتمحورة على الإنسان الرامية إلى تقلـــيص الفقر من خلال مفهوم إنتاجي ، هي في جوهرها إستراتيجيات متوائمة مع البيـــئة ، إذ لابـــد من دمج المرأة البدوية في المجرى الرئيس للتنمية . ولقد أصبح مفهـــوم تمكـــين المـــرأة من المشاركة في التنمية من المفاهيم الرئيسة في تصور مقومات التنمية البشرية المستدامة ، ويعني ذلك أن تكون المرأة في وضع يتيح لها المشاركة الكاملة في القرارات المرتبطة بحياتها المعيشيـــة (Wagner ١٩٩٦) . وبالـــرغم من ذلك فقد نوهت بعض الدراسات إلى أن المرأة هي أكثر الفئات تأثراً بالفقـــر ، حيث تأتي على رأس قائمة البرامج غير الأساسية ، التي يمكن الاستغناء عـــنها في حالة ندرة الموارد (غالي ١٩٩٥) . ومازال هذا الوضع يحدث بالرغم من تزايد الوعي بإحتياجات المرأة ، والضغط المتزايد من جانب المنظمات النسائية لتحقيق الإنصاف والعدالة الاجتماعية بين الجنسين .

الدور التنموي للمرأة البدوية :

من المقومات الخاطئة التي شاعت في أدبيات التنمية القول بأن المرأة الـــبدوية لا تشـــارك في التنمية بإعتبار أن معيار المشاركة لدى كثير من الباحثين إقتصـــر على مفهوم العمل بالوظائف العامة ، والذي ترتفع معدلاته في المجتمعات الحضـــرية عـــنها فـــي المجتمعات البدوية ، بينما هي في الحقيقة أكثر إسهاماً في التنمـــية الاقتصـــادية والاجتماعية ، إذ تشارك الرجل في كل مناحي الحياة بشكل إيجابـــي وفعـــال ، فهي تعمل من مطلع الشمس إلى مغيبها وأحياناً أكثر من ذلك ، فهـــي لا تكتفـــي بالأعمال المنزلية ، بل أنها تشارك الرجل في الكثير من الأعمال التي تعد في الواقع خارج نطاق عمل المنزل.

ولاشك أن عدم تقديرنا لمردودية عمل المرأة إقتصادياً داخل الأسرة ، وجـــرينا وراء الأجـــر المالـــي المحسوس ، دفعنا إلى القول بأن المرأة لا تشارك مشـــاركة حقيقية في العمل والتنمية ، ودفعنا إلى المناداة بمشاركة المرأة في التنمية بخـــروجها إلـــى العمل ، وكأن المرأة لم تساهم طيلة القرون الماضية في التنمية ،

وكأن التنمية لا ركن لها إلا العمل بأجر حسب تعريف العمل المتداول . (الأزرق ١٩٨٢) ، (شكري وآخرون ١٩٨٨) . فلقد أغفلت الكثير من الأبحاث والدراسات أن وظيفة المرأة كربة منزل من أكثر الوظائف إنتشاراً رغم عدم تحديد حجمها في النشـــاط الاقتصادي ومجموع ساعات العمل التي تقضيها ربات البيوت في الأعمال المنـــزلية تتـــراوح مـــا بين ١٢-١٤ ساعة يومياً ، ومجموع الساعات التي تبذلها المـــرأة فـــي البيت تفوق ساعات العامل المبذولة في أي صناعة من الصناعات . (نـــور٢٠٠٢) . فلاشك أن كل ما يدعيه الناس نقصاً في المرأة على مستوى القدرة الموجـــودة عـــند الرجل ، ليس إلا من آثار ما صنعته أجيال الاضطهاد وعصور الانحطاط ، فإذا أتيحت للمرأة الفرص استطاعت أن تقوم بجلائل الأعمال ومهمات الأمور . ومن ثم كانت المرأة في صدر الإسلام تشارك في الشئون العامة مشاركة فعالـــة وتقف بجانب الرجل موقفاً مشرفاً وكريماً وتمثل بطولات عربية قل نظيرها فـــي تـــاريخ الأمم بحضورها الحروب وكفاحها من أجل نصرة الإسلام وتضحيتها بكـــل ما تملكه من غال ونفيس ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقبل منها أن تتدخل في الشئون الحربية كالرجل سواء بسواء .

ويـــتحدد وضـــع المرأة ودورها في أي مجتمع وفقاً للمعايير الثقافية السائدة فيه حيث تخضع هذه المعايير لتأثيرات التغير الاجتماعي الذي تختلف حدته بإختلاف الحقب الزمنية وإختلاف المجتمعات الإنسانية وكذلك بمدى تفاعل عوامل التغير الاجتماعي مع الأنساق الاجتماعية والثقافية والإقتصادية والسياسية للمجتمع. فقد تتغير مكانة المرأة من مجتمع لآخر(Haque,W.et al ١٩٧٢)

فالمـــرأة فـــي مجـــتمعات الخلـــيج العـــربية قديماً لا يشذ وضعها عن المجـــتمعات التقلـــيدية بصفة عامة ، فلو رجعنا إلى نظام الزواج لوجدنا أن العائلة هـــي التـــي تقـــوم باختيار الزوج ، الذي يفضل دائماً أن يكون ضمن حدود النسق القرابـــي ، كمـــا تحدد العائلة السن الذي يفضل فيه الزواج ، والذي غالباً ما يكون مبكراً بالنسبة للفتى والفتاة ، ولكن هذا لم يكن ليلغي دور المرأة في هذه المجتمعات

التقليدية ، فقد عاشت المرأة العربية في الخليج الحياة بكل ما بها من مرارة ، مساندة بذلك الرجل في دوره الاجتماعي والاقتصادي ، فساهمت في الكثير من العمليات الانتاجية مثل مشاركة الرجل في بناء المسكن ، وحفر الآبار والأعمال المنزلية ، كالخياطة والطهي ورعي الماشية ونقل المياه ، والمتاجرة في بعض السلع الاستهلاكية التي تتطلبها ضرورة الحياة ، هذا إلى جانب مشاركة الرجل أيضاً في الزراعة وبيع المنتجات الزراعية والحيوانية . (بشير ١٩٨٦) . وعليه فقد أصبحت المرأة البدوية تشارك بالعمل في جميع مجالات الحياة العملية والنظرية ، حيث أن العمل يحقق لها إشباعاً نفسياً وإجتماعياً وشعوراً بالقيمة والمكانة والأمن الاقتصادي ، كما يساهم في تحقيق التكامل الأسري وإرتفاع مستوى النضج الاجتماعي . ولاشك أن عمل المرأة البدوية قد أدى إلى مكاسب كبيرة ، فهو فضلاً عن الاستفادة من نصف المجتمع في المشاركة في صنع الحياة فإن اشتغالها ساهم أيضاً في إرتقاء العلاقات الإنسانية ، وأصبح للمرأة كيان مستقل ورأي خاص في مجمل مجالات الحياة وقدرة على تحقيق الذات بدون الحاجة إلى تبعية الرجل .

فالمرأة البدوية تشارك زوجها كل أعماله تقريباً ، تشاركه أسفاره وتحرس مواشيه وترعاها معه ، وتهيء له كل ما يحتاج إليه في الحل والترحال ، علاوة على ما تؤدية بالطبيعة كزوجة وأم من شئون أخرى . وتؤدي المرأة البدوية دوراً هاماً وبارزاً في مجتمع البادية ، فهي عماد الأسرة وركن أساسي من أركانها، حيث توكل إليها كثير من الأعمال سواء كانت تربوية أو اقتصادية أو حتى ثقافية . والمرأة في البادية عاملة منتجة وهي في حركة دائمة منذ بزوغ الفجر وحتى وقت متأخر من الليل ، حيث أنها تتابع أعمالها من جمع الحطب والغزل والطبخ وعمل الخبز وحلب الإبل أو الأغنام حين رجوعها من المراعي وجلب المياه من الآبار إلى بيت السكن ، فالكسل لا يعرف للمرأة البدوية طريقاً وهي دائماً تحمل الجزء الأكبر من المشقة فهي أحياناً تكون راعية للغنم أو الإبل وربة البيت وأم الأولاد .

ولـذلك فمكانة المرأة عند البدو سامية ، فهم يحترمون المرأة في كل الظـروف لأنهـا تشارك الرجل في كل أعماله ، وتدير المنزل وتربي الأطفال ، وهـي مخلصة لزوجها أشد الإخلاص فتساعده في جميع نواحي الحياة وتهيىء له كـل مـا يحتاجه ، وتؤدي الكثير من الأعمال المنزلية التي لا تنتهي بإنتهاء موسم معـين ، لا كأعمـال الـرجال التـي قد تنتهي بإنتهاء موسم الحرث أو الحصاد ، وغيرها من الأعمال الموسمية الأخـرى . أما العلاقات بين الرجل البدوي والمرأة الـبدوية فقـد بدأت تميل إلى التعادل وديمقراطية العلاقة ، في كثير من المواقف ، فالمـرأة البدوية أخذت تقوم بأدوار تصبح مسئولة عنها مسئولية كاملة ، وقد ساعد علـى ذلك إشتغال كثير من الرجال في المؤسسات والإدارات الحكومية أو شركات البتـرول أو الوظائـف العسـكرية فلم تعد المرأة مسئولة عن البيت وتدبير شئونه فحسـب وإنمـا إمتد دورها ليشمل مسئولية تربية الأبناء خاصة في فترات غياب الزوج فضلاً عن رعي الماشية أو القيام بزراعة مساحة محدودة من الأرض . وقد انعكـس هذا كلـه على مركز المرأة فأعطاها مزيداً من الحرية في السلوك وإتخاذ القـرارات ، وقـد أدى هـذا بـدوره إلـى نمـو مركـز المـرأة الـبدوية (اسماعيل ١٩٨٤) .

ومن أهم ملامح الدور الإنتاجي للمرأة البدوية ما يلي :

- تقوم المرأة البدوية بجلب الماء بالقرب من مسافات بعيدة أو قريبة ، حسب مكان المنهل ، وفي ذلك تستخدم الإبل والحمير لحمل القرب والروايا .
- كما يوكل رب البيت إلى زوجته أمر بناء الخيمة أحياناً ، فالرجل يعين أو يحدد الموضـع ، وهـي تباشر العمل وتنفذه مستقلة هي وبناتها ، فتدق الأوتاد وتربط إليها الأوتاد ، ثم تنشر الخيمة وترفعها بالعمد ، وهي التي تقوضها حين الرحيل ، وهي التي تخيط الشقاق معاً لتصبح خيمة .
- تعد المرأة البدوية خبزها بيديها ، وتقوم بهذا العمل يومياً بصفة مستمرة .

- تنسج المرأة البدوية كثير من تجهيزات البيت من الصوف والوبر والشعر ، فتصنع منه العدول والبسط والجدح ، وأجزاء من بيت الشعر وتستغرق عملية الغزل والنسيج شهور الصيف كلها .

- تقوم المرأة البدوية بجلب الغنم وتربيطها وفصل الصغار منها عن الكبار وغلي الحليب وخضه واستخراج الزبدة منه بعد عملية الخض التي تستغرق نحو ساعتين وكذلك السمن أيضاً .

- تشارك المرأة في تحميل الأثاث على ظهور الإبل عند الرحيل ، كما تشارك في إنزاله عند الاستقرار ، وتقوم بتغيير وجه البيت في ليالي الشتاء الباردة المتقلبة الرياح ، وربما تقوم بهذا العمل أكثر من مرة في الليلة الواحدة ، فتدير الرواق من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية وهكذا .

- ترعى المرأة البدوية الإبل إذا لم يكن لها رجل يكفيها هذا العمل الذي هو من مهمة الرجل أساساً .

وبعد هذا التعدد في عرض أدوار المرأة البدوية ، ومساهمتها في العمل والإنتاج في المجتمع البدوي ، يتبين لنا أهمية الدور الإنتاجي ومحوريته للمرأة في المجتمع البدوي . ويعتبر دور المرأة البدوية من خلال عضويتها في الأسرة الممتدة أو الأسرة النواة من أبرز وأشق الأدوار الاقتصادية ، وذلك سواء بالنسبة لما يتصل بها من الإنتاج المعيشي أو الرعي ، فهي كقوة منتجة كانت تقوم بالعمل مثلها في ذلك مثل سائر أفراد الأسرة من الذكور . أما داخل المنزل فهي تقوم بتنظيف حظيرة المواشي وجمع مخلفاتها ، ثم كان عليها حلب الماشية قبل سوقها إلى الحقل ، حيث تقوم ببيع اللبن بعد إستبقاء جانب منه للاستخدام المنزلي أو تقوم بتصنيعه منزلياً لإستخراج الجبن الدسم والزبد والقشدة أو الإقط .

وهناك حقيقة هامة ينبغي الإشارة إليها في المجتمع البدوي ، وهي أنه ليس هناك تحديد قاطع للعمل القائم على الجنس . فالتداخل في الدور والوظيفة واضح وقائم ، فالعمل في المجتمع البدوي مشترك وجمعي وليس هناك تخصص

واضـــح ، بمعنى أن الفرد رجلاً كان أم إمرأة لا يتوقف نشاطه على ناحية واحدة ، فالكـــل يشـــارك في هذا النشاط أو ذاك ، فالرعي وهو عملية شاقة ومعقدة يتضمن الاهـــتمام بالماشـــية وتربيتها وتغذيتها والتنقل بها وفق شروط معينة وراء العشب والكـــلأ ، وعـــلاج الماشـــية وتولـــيدها والهجرة بها أيام الجفاف ، فهي إذن قسمة مشتركة دون تحديد واضـــح بيـــن الرجل والمـــرأة (إسماعيل ١٩٨٤) .

ولا يفوتـــنا فـــي غمار الحديث عن تعدد أدوار المرأة البدوية أن ننسى دورهـــا الرئيس والأساسي في عملية الإنجاب ورعاية الأطفال ، وتلبية إحتياجاتهم إلـــى جانـــب الاهتمام الخاص الذي توليه للإناث منهن ، حيث تضع نصب عينها إعـــدادهن للقـــيام بـــنفس الأدوار المميزة التي تقوم بها المرأة البدوية البالغة حيث يهـــدف هذا الإعداد تهيئة الإناث لمساعدة الأم في تحمل مسئولية الأسرة من حيث أداء الأعمـــال المنـــزلية ، والمساهمة في الأعمال الانتاجية وكذلك تمرسهن على أنمـــاط الإنـــتاج المعيشي المنزلي إلى جانب إعدادهن لممارسة أدوارهن كزوجات وأمهـــات في المستقبل ، حيث أن من معايير الاختيار للزواج في المجتمع البدوي تلـــك التـــي تتصل بمهارات الفتاة وقدرتها وإلمامها بالأعمال الإنتاجية والمنزلية ، وكذلك رعاية الأطفال الصغار .

وإذا كـــنا جـــادين في مجابهة التحدي الحضاري ، وفي بناء مجتمع جديـــد فـــي هذا الوطن ، علينا قبل كل شيء أن نعيد إلى نصف المجتمع إنسانيته الكاملـــة ، فنحن عندما نقول " الإنسان " لا نعني الرجل فحسب ، ولكن الإنسان هو الرجل والمرأة على حد سواء ، ومن ثم فقد علت في الآونة الأخيرة صيحات ناقدة لعدد من العلماء والتي تنادي بضرورة إعادة النظر في الكتابات التقليدية عن المرأة فـــي علـــم الاجتماع ، بل والدعوة إلى علم اجتماع جديد للمرأة Sociology of Woman حتى يكون إنعكاساً صادقاً لواقع المرأة وأدوارها برؤية محايدة ، بحيث لا يغلـــب عليها التحيز النوعي للذكور دون الإناث أو التأثر بالنظرة التقليدية لتدني مكانة المراة مثلما ساد وسيطر على الفكر الإنساني قروناً طويلة .

توصيات الدراسة :

وقد تمثلت أهم توصيات الدراسة فيما يلي :

١- ضرورة إيمان صانعي القرار سواء في التنمية القومية أو في التنمية البدوية ، بأن زيادة مشاركة المرأة في عمليات التنمية هو شرط ضروري لتحقيق مبدأ التكامل في التنمية ، كما أنه عامل من عوامل الإسراع بخطى التنمية وتحقيق أهدافها المنشودة .

٢- ضرورة وضع سياسات تعليمية عامة تهدف إلى إتاحة الفرصة للمرأة البدوية كي تتعلم وتتدرب وتعوض ما فاتها ، وذلك للتغلب على النسبة العالية للأمية بين النساء البدويات ، سواء أكان ذلك على مستوى التعليم النظامي أو مراكز التدريب المهني أو غير ذلك من المؤسسات التربوية والإعلامية .

٣- ضرورة توفير الجو الإجتماعي المناسب لقيام المرأة البدوية بدورها الفعال في التنمية البدوية وإثبات مقدرتها على إتخاذ القرارات والقيام بالمسئوليات الموكولة إليها وذلك من خلال تغيير مفاهيم المرأة عن نفسها وعن وظائفها ومسئولياتها التنموية . وكذلك من خلال تغيير مفاهيم الرجل عن المرأة وإدراكه لأهمية مشاركتها في مناحي الحياة المجتمعية .

٤- تنمية وعي المرأة ببعض المفاهيم الجديدة التي بدأ ظهورها في أدبيات التنمية كمفهوم " المجتمع المدني " الذي هي جزء منه ويجب أن يكون لها دور ومشاركة فعالة في جهود التنمية وكذلك توعيتها بأهمية دور الجمعيات الأهلية القائمة على الجهود التطوعية لحل مشكلات المجتمع البدوي كالفقر والأمية.

٥- إعادة النظر في تعريف القوى العاملة بحيث لا يغفل أهمية دور المرأة في التنمية الإقتصادية .

٦- مساعدة المرأة البدوية في تحقيق إستقلالها الاقتصادي ، بإتاحة الفرص لها لإكتساب مهارات جديدة عن طريق التدريب وإتاحة الفرصة لها للحصول على الموارد اللازمة لبدء مشروعات صغيرة لزيادة دخلها .

٧- الحـــد من ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع البدوي ، وبيان مدى خطورة هذه الظاهرة على صحة الأمهـــات ، وعلى قدرتهن في المستقبل على المساهمة في التنشئة السليمة للأسرة ، وفي العمل المنتج في إطار الأسرة وخارجها ، فضلاً عـــن ضياع فرصة المرأة في التعليم بما يؤثر سلبياً عليها وعلى الأسرة وعلى المجتمع ككل .

٨- التركيـــز علـــى حملات التوعية وخصوصاً للأفراد في المناطق البدوية البعيدة التـــي تشـــتد فيها وطأة العادات وترسخ التقاليد البالية ، مع الأخذ في الاعتبار خصوصيات المجتمع البدوي وثقافته .

٩- التأكـــيد على مسئولية الرجال وضرورة مشاركتهم في إحداث التغيير المنشود لخلق مناخ اجتماعي يسمح بقيام المرأة البدوية بدورها كشريك كامل في عملية التنمية .

المراجـــع

أولاً : المراجع العربية :

١- ابـــن خلـــدون ، عـــبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون ، دار الشعب ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ١٩٧١

٢- إســـماعيل ، فـــاروق ١٩٨٤ : التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

٣- الأزرق ، زهـــور ١٩٨٢ : الآثـــار الســـلبية التي قد تنجم عن خروج المرأة للعمـــل والسبل الكفيلة لمواجهة هذه الآثار ، في المرأة والتنمية في الثمانينات ، بحـــوث ودراســـات ، تأليـــف يحيـــى حـــداد ، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت .

٤- الجوهـــري ، عبد الهادي وآخرون ١٩٨٤ : دراسات في التنمية الاجتماعية : مدخل إسلامي ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

٥- الخريجي ، عبد الله ١٩٨٠: بعض تجارب التنمية في الوطن العربي ، دراسة لعمليات التهجير والتوطين ، دار الشروق ، جده ، المملكة العربية السعودية .

٦- الخطيب ، سلوى ١٩٨١ : توطين البدو في المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجســـتير ، قســـم الدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٧- الزهيـــر ، سليمان بن عبد الرحمن ١٩٨٨ : التنمية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود ، مجلة الحرس الوطني ، أكتوبر ، ص:٢١ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٨- الفـــوال ، صلاح ١٩٦٧ : البداوة العربية والتنمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، جمهورية مصر العربية .

٩- الفـوال ، صـلاح ٢٠٠٣ : علـم الاجتماع البدوي : التأصيل النظري ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١٠- بـدوي ، أحمـد زكي ١٩٧٧ :معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان .

١١- بشير ، رفعت ١٩٨٦ : التغير الاجتماعي والتنمية في دول الخليج العربية ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت .

١٢- جـاب الله ، سيد ٢٠٠٤ : التعليم والتنمية ، رؤية نظرية ودراسة واقعية ، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن .

١٣- سـعد الله ، نجـوى ١٩٩٥ : أنماط البداوة ، محاولة لتصنيف بدو محافظة الفـيوم ، فـي دراسات في علم الاجتماعات الريفي والبدوي ، تأليف محمد الجوهـري وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

١٤- شـكري ، علـياء وآخـرون ١٩٨٨ : المرأة في الريف والحضر ، دراسة لحياتها في العمل والأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

١٥- صـابر ، محـي الدين ولويس كامل مليكه ١٩٨٦ : البدو والبداوه ، مفاهيم ومناهج ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

١٦- عـبد الـباري ، إسماعيل ١٩٨٢ : توطن البدو ، دار المعارف ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١٧- عـبد العزيـز ، موضي بنت منصور ١٩٩٩ : الهجر ونتائجها في عصر الملـك عبد العزيز ، سلسلة مشروع ألف رسالة علمية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

١٨- عبد الوهاب ، ليلى ١٩٧٦ : تغير أدوار المرأة وتطور المجتمع ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ص: ١٣٠-١٣٢ ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١٩- عفيفي ، السيد عبد الفتاح ١٩٩٦ : بحوث علم الاجتماع المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

٢٠- غالي ، بطرس ١٩٩٥ : مكافحة الفقر ، في مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية ، مجلة السياسة الدولية ، يناير ، ص:١٠-١٣ .

٢١- غيث ، محمد عاطف ١٩٨١ : قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

٢٢- كوستيلو ، ف . ف ١٩٧٧ : علم الاجتماع الحضري : التمدين في الشرق الأوسط ، ترجمة أبو بكر باقادر ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

٢٣- محجوب ، محمد عبده ١٩٧٧ : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية جمهورية مصر العربية .

٢٤- محجوب ، محمد عبده ٢٠٠٤ : انثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابه ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

٢٥- مصلحة الإحصاءات العامة ١٩٩٣ : التعداد العام للسكان والمساكن ، وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢٦- نور ، عصام ٢٠٠٢ : دور المرأة في تنمية المجتمع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية

٢٧- والي ، عبد الهادي ١٩٨١ : التنمية الاجتماعية ، مدخل إلى دراسة المفهومات الأساسية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية .

ثانياً : المراجع الأجنبيـــة :

1- chichilmisky , G. 1997 :

" what is sustainadle Development " Land Economic . vol . 73 . November , p.p . : 441-467

2- Haque , W. etal . 1972

Toward Atheory of Rural Development , Development Dialouge , No . 2 , p . : 1

3- Piazza , A. 1998 : Reducing Absolute poverty in china , current status and Issues , Journal of international Affairs ., vol.25 . p.p:253-263

4- Wagner , E. and F. Brought. 1996 : woman plan , Rural Economic Devlopment : woman and Environment , vol . 385 , p.p : 29-31